الفكر السياسي الليبرالي الغربي الحديث

في هذه المحاضرة نحاول أن نبين متى نشأ الفكر السياسي الليبرالي؟ وماذا يعني لنا هذا المفهوم ؟، وما هي الدلالات التي يحملها؟.

لايمكن لنا ان نجد إتفاقاً صريحاً عن نشأت الليبرالية فمنهم من يرجح بدايتها في القرن الثالث عشر وتحديداً مع بروز وثيقة (الميثاق الأعظم) في إنكلترا اذ تعد هذه الوثيقة ميثاقاً عظيماً للحريات فهي إحتوت عدة امور منها مطالبة الملك بمنح حريات معينة كما نصت أيضاً على أن حرية الملك تكون غير مطلقة ولا يصح للملك معاقبة رجل حر الا بموجب قانون ولكن هذا لا يعني أن مفهوم الليبرالية قد إنبثق آنذاك من خلال هذه الوثيقة.

وهناك رأي أخر يرجح إنبثاقها في عصر النهضة، وهذا يعني أننا أمام فكر ناشئ مع الفترة التي جاء بها عصر النهضة، فلا توجد هناك قطيعة تاريخية ولا حدود فاصلة بين افكار عصر النهضة والفكر الليبرالي، ولكن الليبرالية قد أخذت صدى واسع وحركة سياسية خلال عصر التنوير وتحديداً مع جون لوك الذي ينسب له الفضل في تأسيس الليبرالية كمذهب أو منتظم فكري وهذا الرأي هو الأقرب للصواب والأفضل من حيث نشأتها.

وبالرغم من عدم وجود حدود فاصلة بين فكر عصر النهضة والفكر الليبرالي، فإنه هناك تميز للفكر السياسي الليبرالي، حيث يتسم هذا التميز بالنضج والإنتظام ويعود هذا التميز إلى الخصائص العامة للفكر الليبرالي، ولكن علينا قبل أن نتطرق لهذه الخصائص يجب أن نبين ماذا يعني لنا الفكر السياسي اللليبرالي، أو ماهو مفهوم الليبرالية وبماذا يحوي من دلالات؟

يمكن القول أن الليبرالية فلسفة سياسية أو رأي سائد تأسست على أفكار الحرية والمساواة، وعادة يدعم الليبراليون أفكاراً مثل حرية التعبير وحرية الصحافة والحرية الدينية والسوق الحر والحقوق المدنية والحكومات العلمانية.

وعلى هذا النحو يمكن تحديد مفهوم الليبرالية:

أولاًـ هي سلوكاً عقلياً فردياً واتجاهاً من اتجاهات العقل ينطلق من الفرد ليعزز مكانته على حساب الجماعة.

وهذا يعني أننا أمام مبدأ يقوم عليه السلوك العقلي، هذا المبدأ هو (الحرية)، حرية الفرد في كل الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ثانياـ ينظر إلى الليبرالية بإنها مجموع فلسفي متجانس يهدف إلى إستقلال الفرد في إطار الكون الذي يعيش فيه فهي قبل كل شيء تؤمن بإزدهار الفرد بالحرية الفردية.

وعلى هذا النحو فإن الليبرالية ترتكز بالدرجة الأساس على الإنسان بوصفه كائناً أخلاقياً وإجتماعياً في الوقت نفسه، فإذا كانت الليبرالية تهدف إلى تحرير الإنسان فهي أيضاً تؤمن بحقوقه الطبيعية، وهذا يعني أن الليبرالية تؤمن بإستقلال الفرد تجاه الدولة، مما يؤدي إلى أن الدولة ليس بإمكانها أن تتجاوز حماية وصيانة هذه الحقوق، فتكون الليبرالية على النقيض من تدخل الدولة في الحياة الإنسانية.

ثالثاًـ ينظر إلى الليبرالية من منظور مجتمعي عام قوامه وجود مجتمع يعتمد على الديمقراطية البرلمانية سياسياً واقتصاد السوق الذي تحكمه المنافسه الحرة وصعود الطبقة المتوسطة إلى السلطة واحكام هيمنتها عليها إجتماعياً وحرية التفكير والتعبير ثقافياً والإيمان بالفرد والفردية ومعارضة تدخل رجل الدين في الحياة اليومية.